الفصل الثالث

الحالة السورية: الإشكاليات – القوى المتصارعة – آفاق المستقبل (سوريا في الميزان- كيان موحد أم انهيار وفشل)

obeikandl.com

obeikandl.com

مدخل

سوريا في الميزان الجيواستراتيجي للمشرق العربي هي المدخل الشمالي/الشرقي لقوى إقليمية غير عربية (تركيا وإيران) لموقعها الفريد المتصل بالحدود الدولية لدول المشرق العربي المحورية (السعودية – الأردن – لبنان – فلسطين) وعلاقاتها التاريخية بل والاستراتيجية بمصر عبر العصور، تمثل مركز الثقل ومحور الصراع، ومعيار النجاح والفشل في الجهد العربي المشترك، في الحفاظ على الكيان بل النظام العربي العام من الأطماع الخارجية، الإقليمية والدولية.

وتمثل الحدود المشتركة بين سوريا وإسرائيل بعداً استراتيجياً آخر يضيف إلى أهميتها بالنسبة للأمن القومي العربي عامة، والأمن القومي المصري بصفة خاصة، فهي شريكتها في الحرب (وفي بعض خطى السلام المجهضة نتيجة لسياسات التوسع الإسرائيلية منذ سبعينيات القرن الماضي) وعلاقاتها بمصر ليست بحاجة لأن تكون من أخطر محاور التحرك السياسي المصري الإقليمي والدولي، وانطلاقاً من التمسك بوحدة الكيان السوري ورفض محاولات التقسيم والتفتيت والتأثير على حق شعبه وإرادته الحرة في تقرير مستقبله السياسي دون تدخل ودون إملاء أو سيطرة والتمسك بحرمه حدوده وسيادتها ووحدة أراضيها منذ الاستقلال عن الاحتلال الفرنسي في أربعينات القرن الماضي.

يسعى هذا الفصل لتناول عدة زوايا متداخلة ومتكاملة في نفس الوقت، لعل بداياتها الحقيقية تكمن في انعكاسات ما عُرِف باسم «الربيع العربي» في مطلع عام ٢٠١١، على النظام السياسي في سوريا وتحركات قوى المعارضة الداخلية لتطالب بمساحات أوسع من الحريات وحقوق الإنسان والمشاركة السياسية، وردود فعل النظام، وكيف تطورات من الإنكار إلى الرفض والإدانة، إلى الصدام والاشتباكات التي اتسعت يوماً بعد يوم واستقطبت قوى أخرى تتنافس فيما بينها.

كما يسعى الفصل إلى لتحليل وتقدير مواقف الأطراف الإقليمية، وفي مقدمتها إيران والسعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، وبالطبع تحليل الموقف

المصري من الأزمة السورية منذ بداية الثورة في موجتها الأولى في مصر في ٢٥ يناير ٢٠١١ (فترة تولي المجلس الأعلى للقوات المسلحة) وتحولات هذا الموقف في ظل الحكم الساقط للإخوان المسلمين منذ يونيو ٢٠١٢ حتى يونيو ٢٠١٣، وصولاً إلى ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ بعد الموجة الثانية من الثورة والانتفاضة الكبرى لملايين الشعب في مصر ضد حكم الإخوان المسلمين بقيادة القوات المسلحة المصرية.

ويحاول الفصل كذلك تحليل الأدوار الهامة والمؤثرة لكل من القوتين غير العربيتين، إيران وتركيا، (إيران الداعمة السياسية والعسكرية لنظام بشار الأسد مباشرة أم من خلال تنظيم حزب الله في لبنان والقوى الشيعية المواليها لها، أو سياسة تركيا الملاصقة للحدود السورية تجاه نظام بشار الأسد ودعم قوى المعارضة ومحاولات التدخل أو ربما التغلغل بنفوذها لخلخلة قواعد النظام حتى إسقاطه).

كذلك فإن أدوار القوى الدولية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة والقوى الأوروبية، المعارضة لنظام بشار الأسد سياسياً، ويقابلها في كل الأحوال الموقف الروسي الذي احتفظ بعلاقات استراتيجية مع النظام السوري في ظل الرئيس بشار الأسد، وفي ظل حكم والده الرئيس السابق حافظ الأسد. هذه الأدوار الدولية تسعى الدراسة لاستكشاف أبعادها ومدى فعاليتها وتأثيرها في المستقبل السياسي للنظام السوري ومن ثم النظام العربي الإقليمي الذي سوف يتأثر بشكل عميق بعواقب الصراع الدائر على أرض سوريا الشقيقة..

الدور الإيراني في سوريا

ثمة تصريحان هامان وواضحا الدلالة على الموقفين الإيراني والسوري ومدى تفاعلهما في إدارة الأزمة السورية حتى اليوم، التصريح الأول للرئيس الإيراني حسن روحاني في الثاني من يونيو ٢٠١٥ يقول فيه « أن الشعب والحكومة الإيرانية سوف تظل تقف إلى جانب الشعب السوري والحكومة السورية حتى نهاية

الطريق، وإن إيران لم تغفل أو تنسى التزاماتها الأخلاقية تجاه سوريا وسوف تواصل الدعم والمساعدة بشروطها للحكومة والشعب السوري [1].

أما التصريح الثاني، للرئيس بشار الأسد، يكاد يكون ما يشبه الرد على هذا الموقف للرئيس الإيراني روحاني حيث يقول « لقد قام محور المقاومة في المنطقة ولن يستطيع أحد أن يكسر هذا المحور، وسوف نشهد بمشيئة الله المزيد من الانتصارات، وهذه الانتصارات ما كان لتحدث لولا دعم وتأييد جمهورية إيران الإسلامية» [2].

تفاعلات السياسة الإيرانية وحزب الله اللبناني على تطورات الأزمة

حين نشبت الأزمة في سوريا عام ٢٠١١ تكبد نظام بشار الأسد انتكاسات عديدة وظن كثيرون أن أيام النظام باتت معدودة، إلا أنه على عكس هذه التوقعات استطاع النظام منذ منتصف عام ٢٠١٣ ومطلع عام ٢٠١٤ تعويض بعض خسائره واستعادة جزء من زمام المبادرة في القتال، وذلك يعود في جزء كبير منه إلى موقف حليفيه القديمين، إيران وحزب الله اللبناني، وفيما يبدو أن بشار الأسد استطاع اجتياز أصعب وأعتى العواصف ضد نظامه، وبدا أن مكانته قد توفر لها قدرٌ من الأمن، لكن بندول القتال بعد عام ٢٠١٤ انقلب وتحول إلى الناحية الأخرى لصالح قوى المعارضة السورية، إذا تمكن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش) والمقاتلون الموالون له اجتياح مساحات كبيرة من العراق وشمالي شرقي سوريا على حساب النظام والقوى المعارضة الأخرى، وعلى سبيل

(1) GOODARZI J. 2015. *Iran and Syria: The End of the Road?* Woodrow Wilson International Center for Scholars. Pp. 1-6. [cit.31.08.2015]. Available online: <https://www.wilsoncenter.org/publication/iran-and-syria-the-end-the-road>

(2) GOODARZI J. 2015. *Iran and Syria: The End of the Road?* Woodrow Wilson International Center for Scholars. Pp. 1-6. [cit.31.08.2015]. Available online: <https://www.wilsoncenter.org/publication/iran-and-syria-the-end-the-road>

المثال ففي نهاية عام ٢٠١٤، فقد النظام أضخم قاعدة عسكرية في شمال سوريا في وادي الصتيف حيث استولت عليه قوى المعارضة، ثم تسارع هذا التيار في الشهور الأخيرة حيث توافقت الأطراف الإقليمية الرئيسية المعارضة للنظام السوري، مثل تركيا والسعودية، حيث تعمل على تنسيق جهودها لتزويد المعارضة السورية بالمساعدات العسكرية الحيوية، وفي مقدمة قوى المعارضة المسلحة التي تقررت لها هذه المساعدة العسكرية الحيوية، تحالف الجماعات الإسلامية الرئيسية المعروفة باسم «جيش الفتح» بقيادة قوى ما يُسمى «بأحرار الشام» وتنظيم «جبهة النصرة» التابع لتنظيم لقاعدة.

رد فعل إيران : النظام السوري يتقهقر ويتحتم مساعدته.

ويمكن القول أنه منذ مارس ٢٠١٥، تغير الموقف العسكري على الأرض بشكل مضطرد منذ اتفاق الرئيس التركي «إردوغان» وعاهل السعودية «الملك سلمان» وبعض زعماء الدول العربية من دول مجلس التعاون الخليجي بهدف دعم المعارضة السورية في شمال سوريا.

وقد تمكن ما يسمى بـ« جيش الفتح» من طرد القوات الحكومية من «أدلب» و«جسر الشغور» ثم التهديد بقطع الاتصل بين دمشق وحلب، كذلك تمركز «جيش الفتح» في مواقع التقدم نحو ميناء اللاذقية الاستراتيجي الواقع في قلب مناطق العلويين.

أما في الجنوب، فقد نجحت قوات المعارضة في الاستيلاء على مدينة «بوصرة الشام» ومعبر «نصيب» باتجاه الأردن، وكذلك تمكنت في الآونة الأخيرة من الاستيلاء على قاعدة اللواء [1] في منطقة «الحرك». أما باتجاه الشرق، فقد استولت

(1) *UN rights expert deplores 'profound failure of diplomacy' as Syria conflict escalates.* 2015. United Nations News Centre. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=51227#.VeLNOSWqqkohttp://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/oral-update-independent-international-commission-inquiry-syrian-arab-2>

قوات تنظيم داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام) على مدينة «تدمر» مما وفر لها موقفاً متميزاً للتقدم نحو مدينتي «حمص» ودمشق»[1].

ولعله مما يُفسر هذه الانتكاسات التي نزلت بقوات الأسد أنها تعود إلى الدعم الضخم الذي يقدمه خصوم النظام للمعارضة المسلحة في المقام الأول، لكنه يعود بالمثل إلى النقص الهائل في القوي البشرية التي تواجه النظام واستنزاف موارده إلى الحد الذي دفع لزيادة الاعتماد على إيران وعلى حلفائه، وتُقدر عدد القتلى والجرحى بين جنود النظام ما بين ٨٠ ألف إلى ١٠٠ ألف جندي، هذا بالإضافة إلى النكسات في ساحات القتال المتواصلة، مما أثر تأثيراً بالغ السوء في الحالة المعنوية لقوات الحكومة السورية وهبوطها إلى الحضيض، الأمر الذي كان بمثابة ناقوس الخطر يدق في دمشق وطهران معاً، وهو ما جعل إبريل ٢٠١٥ شهراً للتحركات الدبلوماسية والمحمومة بين كبار المسئولين من كلا الدولتين في زيارتها للعاصمتين للتشاور وإجراء المباحثات العاجلة.

وفي إبريل ٢٠١٥ قام وزير الدفاع السوري «فهد جاسم» بزيارة إلى طهران ليجتمع بنظيره الإيراني «حسين دهقان» وكبار المسئولين للتباحث حول الموقف العسكري المتردى على الأرض والأمور الأخرى ذات الصلة، وتعاقب ذلك في الشهر التالى (مايو ٢٠١٥) سلسلة من الزيارات قام بها مسئولون إيرانيون إلى دمشق، من أهمها زيارة «علي أكبر ولايتي» مستشار الشئون الخارجية «آية الله على خامئني» وزيارة علاء الدين بورجيروي رئيس البرلمان (المجلس) الإيراني ولجنة السياسة الخارجية والأمن القومي مع وفد اقتصادي إيراني.

وفي يونيو ٢٠١٥، قام رئيس مجلس الشعب السوري «محمد جهاد اللحام» والفريق محمد إبراهيم وزير الداخلية السوري بزيارة إلى إيران، أما قائد قوات

(1) GOODARZI J. 2015. *Iran and Syria: The End of the Road?* Woodrow Wilson International Center for Scholars. Pp. 1-6. [cit.31.08.2015]. Available online: <https://www.wilsoncenter.org/publication/iran-and-syria-the-end-the-road>

القدس بالحرس الثوري الإيراني الفريق «قاسم سليماني» فقد قام كذلك بزيارة سوريا وقام بجولة في خطوطها الأمامية في منطقة اللاذقية، إذ أن طهران استشعرت خطورة بالغة وقلقاً شديداً بسبب الانتكاسات الخيرة التي أصابت نظام الأسد في ساحات القتال، بالإضافة إلى الصعود الخطير لتنظيم الدولة الإسلامية داعش.

وقد انتهجت إيران عبر سنوات طويلة سياسة دعم القوات العسكرية للحكومة السورية تدريجياً، وذلك عن طريق بناء قوة عسكرية احتياطية تدعى « قوات الدفاع الوطني»National Defense Forces وهي مؤلفة من العلويين ومن الشيعة ومن العناصر الموالية للنظام، وذلك بهدف مساعدة الجيش السوري في العمليات القتالية، وبمرور الوقت والكثير من الصبر ونفاذ البصيرة، والخبرات المتراكمة والإنفاق بموارد ضخمة، تمكنت إيران من تكوين قوة تبلغ حجمها ٨٠ ألف فرد، بيد أنه رغم كل هذه الجهود الإيرانية بدءاً من إيفاد المستشارين العسكريين وتوفير المعدات وبلايين الدولارات والإمدادات النفطية منذ عام ٢٠١١، لم يزل بشار الأسد يواجه في الوقت الحاضر موقفاً عصيباً.

وتشير أحدث التقارير إلى أن إيران أرسلت ما بين ٧٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ مقاتل إلى سوريا للدفاع عن منطقة دمشق والإسهام في العمليات الهجومية لاستعادة إقليمي «جسر الشغور» و«إدلب»، وهذه القوات تتألف من ميليشيات شيعية/ إيرانية وعراقية وأفغانية، وإن كان من الصعوبة بمكان التحقق من مدى صحة هذه التقارير وإن كانت المعلومات التي تنقلها لا تفتقر إلى الدقة، وليس من المتوقع أن تتخلى إيران عن دعم بشار الأسد بسبب النكسات التي تكبدها في الفترة الأخيرة.

لكن إيران قد تعيد تقييم مستوى المساعدة المطلوبة لدعم حليفها السوري وسوف تبعث بالأفراد والعتاد في ضوء هذا التقييم الجديد.

ومن الواضح أن إيران قد نشرت مؤخراً وحدات قتالية داخل سوريا للحيلولة دون انهيار النظام السوري البعثي، وإن كانت إيران سوف تسعى إلى الحد من تواجدها قدر المستطاع لسببين، أولهما أنها تريد تجنب التورط بشكل أوسع في

الصراع السوري، ومن ثم تكبد خسائر كبيرة، بل تؤثر إيران أن تحارب بطريق غير مباشر، أي كما يقال بالوكالة By Proxy، لاسيما من الدول العربية، مثل تجنيد ميليشيات حزب الله والميليشيات العراقية حتى تتجنب استثارة الحساسيات العربية من ناحية بالنسبة لمشاركة قوات عربية في الصراع الدائر في سوريا.

وبالتوازي مع هذا الدعم الإيراني المكثف لنظام بشار الأسد بسبب تحول التيار ضده في الميزان العسكري، كانت إيران تستشعر القلق العميق إزاء اتجاهات تنظيم داعش وغيرها من الجماعات السُنية المتطرفة بما في ذلك العناصر التي تنتمي لما يُسمى بجيش الفتح [1].

ومع أن الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة ظلت تقوم بحملة متواصلة للقصف الجوى لضرب قوات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في كل من العراق وسوريا منذ منتصف عام ٢٠١٤، كان جلياً أن هذا الجهد لم يتمخض عن أي تأثير سلبي على قدرات التنظيم في تحقيق المزيد من الانتصارات والاستيلاء على مساحات أوسع من الأرض في كل من سوريا والعراق، وقد انعكس ذلك في تصريحات «قاسم سليماني» قاد قوات «القدس» التابعة للحرس الثورى الإيراني في مايو ٢٠١٥ معرباً عن شعور اليأس والإحباط والخوف في نفس الوقت بقوله «أن تنظيم الدولة الإسلامية ليس إلا بلاءً أو طاعوناً وكارثة كبرى» ووجه الانتقاد للولايات المتحدة بأنها «لم تقم بعمل يُذكر» في القتال ضد هذا التنظيم.

.على أنه بينما نلمس أن بعض المسئولين في إيران وبعض الصحفيين في الإعلام الذي تسيطر عليه الدولة يروجون لاتهامات بأن الولايات المتحدة هي التي خلقت تنظيم «داعش» لضرب الاستقرار في سوريا وزعزعة مكانة إيران في المنطقة، لنلمس مسئولين إيرانيين آخرين، من الدوائر الحاكمة ممن يرى أن

(1) GOODARZI J. 2015. *Iran and Syria: The End of the Road?* Woodrow Wilson International Center for Scholars. Pp. 1-6. [cit.31.08.2015]. Available online: <https://www.wilsoncenter.org/publication/iran-and-syria-the-end-the-road>

مجرد وجود تنظيم داعش وما تمارسه من أنشطة قد أسهمت في تحقيق الأهداف الأمريكية في عدة اتجاهات،

أولا: نجاح التنظيم شرقي وغربي العراق مكن الولايات المتحدة من اكتساب القدرة على السيطرة على العراق في ضوء اعتماد «حيدر عبادي» على المساعدة العسكرية الأمريكية،

وثانياً: في سوريا والحملة التي يقوم بها «داعش» تؤدي إلى استنزاف الموارد الإيرانية حيث تبعث إيران بالرجال والمال والعتاد لدعم نظام بشار الأسد،

وثالثاً: فإن الإنجازات الميدانية للثوار، بما في ذلك تنظيم الدولة الإسلامية، تسهم بوضوح في زعزعة وفي تآكل دعائم نظام بشار الأسد نفسه، وقد تؤدي إلى سقوطه في نهاية المطاف.

وعموماً فإن إيران تشعر بالإحباط الحقيقي لتطور الموقف العام في سوريا منذ عام ٢٠١١ وكانت تنتقد أسلوب تعامل النظام مع حركات المعارضة الأولى، وتنتقد الأنشطة العسكرية ضد المعارضة المسلحة فيما بعد، وترى أنها أنشطة غير مدروسة وهوجاء وتتصف بالرعونة والتهور.

وفي التحليل الأخير، فإن طهران لم تعد ترى أن الموقف السياسي السابق الذي كان يسود سوريا قبل مارس ٢٠١١ يمكن أن يعود من جديد، كما أن إيران لا ترى أن بشار الأسد نفسه أو نظامه سوف يستمر طويلاً في سوريا، ولو أن إيران قد ذهبت إلى مدى بعيد في دعم نظام بشار الأسد لمدة سنوات أربعة، ولا ترى حتى الوقت الحاضر بديلاً حقيقياً لهذا النظام، وبرغم ذلك يسود إيران قلق حقيقي من أنه في حالة سقوط نظام بشار الأسد، فإن آخر مظاهر الدولة السورية ومؤسساتها سوف تنهار وسوف يستتبع ذلك تفشي حالة الفوضى، ومن ثم تصبح القوى الإسلامية السُنية المتطرفة (داعش) هي المستفيد الأول من هذا التطور.

***

الحرب بالوكالة بين إيران والسعودية :-

وفي كل الأحوال، لابد من التأكيد على أنه ثمة عدة عوامل وعدة تطورات تؤكد هذا المنطق، أو هذا التفكير الإيراني بأن الصراع في سوريا هو صراع خاسر.

أول هذه العوامل أنه منذ شتاء ٢٠١١-٢٠١٢ بعد أن تحولت الأزمة السورية إلى حرب بالوكالة، إذ تقوم السعودية بتوفير المساعدة للمعارضة السورية، فكانت إيران تنظر إلى الموقف في سوريا من منظور صراع أوسع للقوى الإقليمية (طرفاه الرياض وطهران) والصراع بين الوهابية والسلفية والسُنية المتطرفة.

وفي نفس الوقت، تشعر إيران بالمخاوف إزاء الأنشطة السعودية التي تشجع النزاعات الطائفية «الأصولية السُنية» المتطرفة، بما في ذلك أنشطة السكان الذين ينتمون إلى الجماعات البالوشية المقيمة في كل من باكستان وإيران (على الحدود المشتركة)، كذلك فإن التدخل السعودي في مملكة البحرين عام ٢٠١١ لمواجهة حركة احتجاجاتها (شيعة) الموجهة ضد سلطات الدولة، أثار غضباً عارماً في طهران.

وفي نفس السياق، من الضروري فهم الدور الإيراني في اليمن (انظر الفصل الخاص باليمن ودعم إيران للحوثيين في شمال اليمن لانتمائهم للمذهب الشيعي بوصفهم من أتباع الزيديين أو المذهب الزيدي)، وذلك في ضوء التدخل السعودي في الأزمة السورية. ومن منظور الحكام في إيران أو صناع القرار في إيران، فإن تحالفهم مع سوريا ممتد لأكثر من ثلاثين عام، إلا أن الرياض تحاول جاهدة تغيير هذا الوضع الراهن بين إيران وسوريا الدولتين الحليفتين، ومن ثم كان قرار طهران بالتدخل في «الساحة الخلفية» أي التدخل في شبه الجزيرة العربية أي جنوب السعودية في اليمن بتقديم الدعم للثوار والحوثيين في اليمن.

أما ما بين السعودية وإيران من صراع وتنافس :

ففي التقدير السائد أن طهران بدأت تشعر شعور «الشماتة» (أو بعض الارتياح)

لقرار الملك سلمان عاهل السعودية بالتدخل عسكرياً في اليمن في مارس ٢٠١٥، بتدشين حملة جولة لم تُحسم نتائجها حتى الآن، ووصل الوضع في اليمن أنه ما لم تتوصل السعودية وإيران إلى التغلب على خلافاتهما، فإن الجمهورية الإسلامية سوف تنظر بعيون الشماتة لتورط السعودية في المستنقع اليمني [1].

انعكاس الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على الصراع في سوريا

إن صعود داعش وغيرها من الجماعات السنية المتطرفة في الشرق الأوسط قد عززت من اتجاه التفكير الإيراني بأن الصراع في سوريا هو صراع خاسر (للنظام السوري) حيث أن الجماعات السُنية المتطرفة لا تعتبر أتباع المذهب الشيعي من المسلمين، وتضطهد من لا يشاركهم موقفهم للإسلام، وترى أن طهران في هذا الموقف خطراً داهماً وحقيقياً، وقد تأكد هذا الموقف على مستوى النجاحات في مساحات القتال في سوريا، وبالمثل في العراق التي تشارك مع إيران في الحدود الممتدة لألف وخمسمائة كيلو متر.

الدور الروسي: حدوده وفعاليته:

الدعم للنظام السوري ولحكم بشار الأسد لم يقتصر على القوى الإقليمية غير العربية (إيران) بل أن روسيا كقوة عالمية كبرى كانت داعمة ومساندة لنظام الحكم في سوريا منذ البداية في مواجهة الانتفاضة التي اندلعت ضد الحكم في سوريا، بالإضافة إلى الضغوط الهائلة من الدول العربية والخليجية ومن الدول الغربية، ذلك أن روسيا ترتبط مع سوريا بمصالح واسعة من العلاقات التجارية والعسكرية منذ العهد السوفيتي، وحتى لو لم يكن المسئولون الروس يوافقون تماماً على سياسة الرئيس بشار الأسد وأسلوب تعامله مع الأزمة، فأنهم لن يتخلوا بسهولة عن أكثر حلفائهم ولاءً في المنطقة العربية، وقد استمرت علاقات موسكو مع بشار الأسد

(1) GOODARZI J. 2015. *Iran and Syria: The End of the Road?* Woodrow Wilson International Center for Scholars. Pp. 1-6. [cit.31.08.2015]. Available online: <https://www.wilsoncenter.org/publication/iran-and-syria-the-end-the-road>

منذ عام ٢٠٠٠ بعد عقود طويلة من علاقاتها مع والده حافظ الأسد.

تدور العلاقات والمصالح الروسية مع سوريا في عدة قطاعات، أولها التسليح إذ استثمرت روسيا في صناعة التسليح في روسيا (صادرات السلاح) حوالي بليون دولار عام ٢٠١١، فضلاً عن عقود قائمة تقدر بأربعة بلايين دولار مع زيادة في شحنات الأسلحة الصغيرة كما جاء في تقرير لوكالة «رويتر». هذا فضلاً عن المصالح التجارية خاصة وأن قطاع الصناعة في سوريا يتصدع بسبب العقوبات وسوء الإدارة، وكذلك اعتماد النظام على واردات النفط والحبوب والمعدات الكهربائية، على القاعدة البحرية للأسطول الروسي في ميناء طرطوس السوري والذي يمثل الموقع البحرى الوحيد لروسيا على شرق المتوسط خاصة بعد تحويل طرطوس عام ٢٠٠٨ إلى قاعدة بحرية دائمة، مع خطط طموحة طُرحت لتحديث مرافقها.

هذه المصالح كلها تجعل من احتمال سقوط بشار الأسد وحلول حكومة موالية للعرب أمراً غير مرجح حالياً، فالعقود التي ترتبط بها روسيا مع سوريا وكذلك استثماراتها سوف تتعرض للخطر وبالمثل فإن القاعدة البحرية في طرطوس تصبح في مهب الريح، هذا فضلاً عن أن الدبلوماسية الروسية بشكل عام تنادي بمبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية باعتبار هذا المبدأ من ركائز السياسة الخارجية لروسيا، لذلك ترى موسكو أن عملية تغيير النظام في سوريا Regime Change خط أحمر، ومن ثم فإنه ليس من المتوقع أن يتمكن مجلس الأمن من اعتماد قرار يجيز التفويض بالتدخل العسكري في سوريا (روسيا عضو دائم في مجلس الأمن).

إلا أن نظام الأسد فيما يبدو في أسلوب تعامله مع الانتفاضة، أبعد ما يكون عن إقناع أقرب حلفائه وليس للنظام أي استراتيجية للخروج من هذه الأزمة اللهم إلا بالقتال لآخر طلقة رصاص، ولعله من المرجح أن موسكو تدرك هذه الحقيقة وأنها سوف تبحث عن صيغة لإنقاذ ماء الوجه تضمن لها دوراً في سوريا، وإلى أن تقر روسيا أن نهاية مصير الأسد أصبح حتمياً، فسوف يستمر دعمها له بالسلاح

وشحناته إلى ميناء طرطوس [1].

لكن في المقابل فإن السؤال المطروح هو ما إذا كانت روسيا قادرة بمفردها على تسوية المسألة السورية، أي وقف الحرب في سوريا، وحتى وإن حاولت روسيا فإن فرص النجاح محدودة، ومنذ فشل مؤتمر جنيف-٢، للسلام الذي كان قد عُقد بدعم أمريكي/ روسي مشترك، في يناير وفبراير ٢٠١٤، لم تُطرح أي مبادرات لشغل هذا الفراغ السياسي بل استمر القتال ليؤدي إلى تمزيق سوريا وتهديد الاستقرار في الشرق الأوسط. وفي عام ٢٠١٤، كانت العراق تقترب من حالة الانهيار حيث تمكن تنظيم الدولة الإسلامية الجهادي (داعش) من الاستيلاء على مدينة «الموصل» مما أدى إلى المزيد من تدويل الصراع بسبب تدخل الولايات المتحدة عسكرياً ضد العناصر الجهادية في العراق وسوريا، ومع استمرار الصراع المذهبي منخفض الحدة في شمال شرقي لبنان، استمر تدفق اللاجئين خارج سوريا ووصلت الأزمة الإنسانية إلى "بعاد كارثية [2].

وفي نوفمبر ٢٠١٤، مع استمرار الموقف السلبي للولايات المتحدة (نسبياً) من الأزمة السورية منذ فشل مباحثات جنيف-٢، سواء من منطلق الإحباط، أو عن تعمد، بدأت روسيا تأخذ زمام المبادرة بطرح مقترحات لعقد مباحثات سلام في موسكو مؤداها ما تتوقعه وزارة الخارجية الروسية من احتمال عقد اجتماع بين ممثلي بشار الأسد والمعارضة السورية، بما في ذلك أطياف واسعة من الجماعات في الخارج والداخل، وقد وجهت الدعوات في يناير ٢٠١٥ لعقد اجتماع (٢٩-٣٠ يناير) تحضره الحكومة والمعارضة في نهاية الاجتماع، وأكدت روسيا أنها

(1) MANFREDA P. *Why Does Russia Support the Syrian Regime*. About News. Pp. 1-5. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://middleeast.about.com/od/syria/a/Why-Does-Russia-Support-The-Syrian-Regime.htm>

(2) LUND A. 2015. *Russia Cannot Fix Syria Alone*. Carnegie Endowment for International Peace. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://carnegieendowment.org/syriaincrisis/?fa=57703>

بذلك لا تستهدف «عملية سياسية جديدة» بل تدشين حوار سوري-سوري مع تأسيس هذا الحوار على أساس بيان جنيف-١ في ٣٠ يونيو ٢٠١٢، وعموماً لا يرى البعض مضموناً كبيراً في هذه المبادرة الروسية اللهم إلا تأكيد الدور الروسي وتوجيه التطورات لصالح روسيا، بل وخلق انقسامات بين جماعات المعارضة والجماعات الموالية للحكومة، ويرى خبراء آخرون أن المبادرة الروسية تستهدف تأمين دور سياسي للأسد بينما يرى غيرهم أن الدافع هو إحساس روسيا والأسد معاً بخطورة الموقف الذي يتعرض له النظام، ومجمل التقديرات أن روسيا في تحركاتها تلك إنما تدفعها الخشية من فقدان نفوذها مع النظام السوري واعتمادها -أي سوريا- بالكامل على الدعم الإيراني، ذلك أن العلاقات المباشرة بين طهران والمليشيات الموالية للأسد والجماعات المذهبية ورجال الأعمال المرتبطين بإيران والقادة الميدانيين في الحرب قد بدأت تؤثر في النفوذ والتأثير الروسي في الحكومة المركزية في دمشق، سواء القطاع العام أو القوات المسلحة النظامية. ومع أن إيران حليف لا غنى عنه لروسيا لإنقاذ نظام الأسد، فإن إيران تلعب دوراً لخدمة مصالحها الذاتية في روسيا وفي العراق وفي لبنان، وليس من المرجح أنها سوف تضع المصالح والأولويات الروسية في حسبانها.

وبرغم كل القوة العسكرية والقدرات الدبلوماسية لموسكو، فإنها في حقيقة الأمر تفتقر إلى النفوذ الكافي في الشرق الأوسط للجمع بين مختلف الأطراف في سوريا وإعادتها للمفاوضات(*).

وتخشى إيران من أنه إذا سقط نظام بشار الأسد، فسوف تحل محله حكومة سُنية متطرفة، وإذ أن تلك الجماعات (السُنية المتطرفة) باتت هي القوة المسيطرة داخل جماعات المعارضة التي تقاتل في ميادين الحرب، من هذا كله تضطلع إيران بدور إيجابي وفعال في الحملة العسكرية في كل من سوريا والعراق، لاسيما في

(*) منذ أكتوبر ٢٠١٥، طوّرت الاستراتيجية الروسية تطورًا سياسيًا وعسكريًا وتدخلت بشكل مباشر وأكثر حسمًا في الحملة العسكرية والجوية لإنقاذ نظام الأسد.

العراق بصفة خاصة في مواجهة ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

الموازين تتأرجح في الميدان العسكري وجهود الوساطة الأممية

كذلك فإنه بين أعوام ٢٠١٢-٢٠١٤ فإن إيران كانت قد استُبعدت من مباحثات جنيف-١ وجنيف-٢ حول الأزمة السورية بسبب إصرار المعارضة السورية على استبعادها من المسار السياسي ومن أي مفاوضات دبلوماسية لإنهاء الصراع، ولا ترى إيران أنه ثمة بديل آخر أمامها سوى الخيار العسكري.

ومما يزيد الأمر تعقيداً، فإن تصريحات وزير الخارجية الأمريكي (جون كيري) في يناير ٢٠١٤ أنه يمكن لإيران أن تضطلع بدور على هامش المباحثات مما أثار غضب الإيرانيين، إذ أنهم يعتبرون إيران لاعباً إقليمياً رئيسياً في الأزمة السورية، وهي تحرص على أن تكون جزءً من أي عملية سياسية وفي أي مفاوضات متعددة الأطراف تستهدف تسوية الأزمة، فضلاً عن أن إيران قد خلصت إلى أنه ليس ثمة حل عسكري، وأن حرب الاستنزاف في سوريا لا تخدم إلا المعارضة، ولاسيما السُنية المتطرفة، وهي -أي إيران- تفضل الحل الدبلوماسي (وكانت رئيسة الشئون السياسية والخارجية في الاتحاد الأوروبي «فدريكا موجيريني» و«شتيفان دي ميتسورا» المبعوث الخاص للأمم المتحدة، قد صرحا بضرورة مشاركة إيران في المباحثات وأنه يمكن أن تقوم بدور إيجابي في مباحثات السلام السورية القادمة (جنيف-٣). وحقيقة الأمر أنه في ضوء مجريات الموقف القتالي على الأرض، فإن المشاركة الإيرانية قد تكون هدفاً مطلوباً من أجل إقناع نظام بشار الأسد بقبول مرحلة انتقالية سياسية، ثم تسوية نهائية.

ورابعاً:- ويسود اتفاق عام بين صناع القرار في إيران بأنه ليس ثمة بديل حقيقي في الحاضر لنظام بشار الأسد، ويرون أنه إذا ما انهار النظام سوف تنهار آخر المظاهر الباقية للدولة السورية ومؤسساتها، بما يؤدى إلى الفوضى وعدم الاستقرار في دول الجوار المباشر في المستقبل المنظور، كما تساور إيران شكوك عميق من أن المعارضة السورية أو أي جماعة أخرى سوف تتمكن من ملأ الفراغ السياسي

واستعادة السلام والنظام، والاحتمال الأرجح في تقدير إيران هو استيلاء الجماعات السُنية المتطرفة على مقاليد النظام أو أن تتحول سوريا إلى دولة فاشلة [1].

بقراءة التطورات المحتملة من منظور الوقت الحاضر، فإنه إذا ما تمت الإطاحة بنظام بشار الأسد فإن ذلك سوف يمثل أخطر نكسة تنال من السياسة الخارجية الإيرانية منذ عام ١٩٨٨، على أقل تقدير (حين اضطرت إيران للتخلي عن الصراع لإسقاط صدام حسين)، ولم يكن ذلك أخطر نكسة تصيب إيران منذ قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. وقد ظلت سوريا البعثية تمثل أهمية قصوى لإيران لعدة أسباب، أولها أنها الحليف العربي الأهم والوحيد لأكثر من ثلاثة عقود. وثانياً أنها وفرت لطهران مدخلاً للمشرق العربي عبر البحر المتوسط، ولمجال الصراع العربي-الإسرائيلي حتى تدلل إيران على تضامنها مع القضية العربية والفلسطينية في الصراع مع إسرائيل، وأن تبرز إيران قوتها شرقي البحر المتوسط، وثالثاً كانت سوريا أهم مسار أو منفذ للأسلحة والمساعدات الإيرانية الموجهة لحزب الله في لبنان منذ الثمانينات.

إلا أنه خارج الحدود الإيرانية، كانت النشأة والاستمرارية للحركة الشيعية في لبنان هي الإنجاز الثورى الوحيد لآيات الله في إيران. ورابعاً، أن الرابطة القائمة بين طهران ودمشق ظلت بمثابة النموذج للتعاون العربي/ الإيراني في عدة مجالات من زاوية التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي. هذه العوامل أو الأسباب مجتمعة تمثل دلالات سياسية أيديولوجية هامة من منظور حكام إيران وصناع القرار فيه.

احتمالات تطور الموقف في سوريا على المدى المنظور

أما من زاوية السيناريوهات المحتملة أو المرجحة بالنسبة للصراع في سوريا، فيمكن أن تستعين بأربعة سيناريوهات على أقل تقدير وهي:-

(1) LUND A. 2015. *Russia Cannot Fix Syria Alone*. Carnegie Endowment for International Peace. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://carnegieendowment.org/ syriaincrisis/?fa= 57703>

١- إما التوصل لتسوية تفاوضية أو عملية انتقال أو تغيير سياسي.

٢- وإما بقاء نظام الأسد في حالة من الضعف ولو في جزء من سوريا (دولة مجزأة).

٣- وإما انهيار النظام واستمرار الحرب الأهلية وتفشي عدم الاستقرار.

٤- أو ظهور نظام إسلامي سُني أو علماني في دمشق.

واستقراء الأهداف الإيرانية في إطار هذه السيناريوهات الأربعة، نجد أنه بالنسبة للسيناريو الأول، أنه إذا ما جرت مفاوضات سياسية وكانت إيران طرفاً فيها إذ تعتمد في جزء كبير على الموقف العسكري/ الميداني، فإن أقصى موقف يمكن أن تطرحه إيران هو الحفاظ على الأسد أي استمرارية حكمه أو بعض العناصر من النظام السوري الحاكم حتى تضمن استمرار التحالف مع إيران. أما الحد الأدنى لما تتمسك به إيران فهو القبول بسلطة انتقالية أو حكومة جديدة بحيث تكون على الأقل حكومة محايدة وغير معادية لطهران.

وبالنسبة للسيناريو الثاني، فليس من المرجح -حالياً- أن يتمكن بشار الأسد من استعادة الوضع السائد إلى ما قبل مارس ٢٠١١، وأن يمارس سلطاته على كامل البلاد.

والسيناريو الأرجح أن يتمسك نظام بشار الأسد (بدعم إيراني) بالوجود في العاصمة دمشق وغيرها من المراكز السكانية الكبرى غربي سوريا (التي تمتد على محورين الشمال والجنوب من حمص وحماة إلى حلب) وكذلك بالعديد من الموانئ (في طرطوس وبانياس واللاذقية) ومناطق حدودية أخرى الملاصقة للبنان وإسرائيل، خاصة وأن السيطرة على المناطق الملاصقة للبنان تعتبر ضرورة حيوية إذ أنها تتيح عمقاً استراتيجياً للحكومة القائمة في سوريا (في ضوء الدور المحوري الذي يضطلع به حزب الله في السياسات اللبنانية)، كما تمثل جبهة ثانية محتملة مع إسرائيل على امتداد مرتفعات الجولان، وفي سياق الموقف العسكري على الأرض، فقد يرضخ

النظام للتخلي عن بعض الأراضي في الشمال، بما في ذلك منطقة حلب وأراض أخرى في الجنوب على امتداد مرتفعات الجولان والحدود مع الأردن.

أما استقراء الأهداف الإيرانية في كل من السيناريو الثالث والسيناريو الرابع (اللذين يستبعدان انهيار نظام بشار الأسد) خلال السنوات القليلة الماضية مع طول فترة الصراع الدائر، ومع تنامي التدخل الإيراني، فإن إيران قد أقامت – واقعياً– مؤسسات موازية لحماية نظام بشار الأسد وحماية مصالحها في سوريا، ولعل المثال الأوضح هو إنشاء قوات الدفاع الوطني National Defense Forces وإذا ما تحققت الإطاحة بنظام الأسد وغابت السلطة المركزية من سوريا، أو تولى حكومة معادية مقاليد الحكم في دمشق، فإن إيران سوف تستثمر قواعدها تلك والتي زرعتها في سوريا للحفاظ على مصالحها قدر المستطاع وأن تواجه القوى المعادية لها في البلاد وقد يتيح لها ذلك بعض النفوذ في سوريا وربما بعض أدوات التأثير إذا ما قفزت حكومة معادية إلي السلطة في دمشق.

خلاصة القول في تحليل هذا الدور الإيراني متعدد الأبعاد والأشكال في الأزمة السورية، نرى أن استمرار التدهور في موقف بشار الأسد والدعم المتعاظم للمعارضة السورية من الدول الإقليمية الداعمة لها، إنما نشير إلى أن المد العسكري والسياسي قد تحول مرة أخرى ضد قوات الحكومة السورية، وما لم يتم تدشين عملية سياسية في وقت قريب، فإن المرجح أن يسقط نظام بشار الأسد وفي المستقبل غير البعيد، وحتى لو استطاعت المساعدات المقدمة من إيران وحلفائه الإبقاء عليه والصمود أمام احتمال الهزيمة والانهيار في الوقت الحاضر، فمن الصعوبة بمكان أن نتصور أن استمرار حرب الاستنزاف سوف تتحول لصالح النظام.

وكان الرئيس الإيراني روحاني قد قال من قبل أن إيران سوف تقف لدعم الرئيس الأسد حتى النهاية، وفي واقع الأمر، فإن هذه النهاية قد تأتي بأسرع مما يتوقع روحاني وغيره، وبغض النظر وقوع ساعة النهاية في المستقبل القريب أو المستقبل الأبعد، فإن هذه النهاية سوف تكون أسوأ مما يتصوره كثيرون.

وفي سياق الاستمرار المضطرد في الصراع والأزمة السورية، فأن تحول المجتمع السوري إلى الاتجاه الراديكالي وإلى اللجوء إلى الأساليب الوحشية بالإضافة إلى تدفق عناصر المجاهدين الأجانب والمدعومين من الحلفاء الإقليميين الموالين للعرب، فإن المصير الذي ينتظر سوريا أفظع وأشد مأسوية من المصير الذي تواجهه في ظل نظام البعث السوري.

الدور الأممي المطروح للخروج من الأزمة السورية

بعد تحليل المواقف العسكرية والسياسية في سوريا والبدائل والسيناريوهات المطروحة سواء على إيران –اللاعب الرئيسي الأول الداعم الإقليمي للنظام السوري– أو على المجتمع الدولي ككل بعناصره المتعددة، القوى الكبرى والمنظمات الدولية (الأمم المتحدة) والقوى الإقليمية والعربية وغير العربية، نعرض لسيناريو مطروح يتخذ من دور الأمم المتحدة وبعض القوى الدولية نوعاً من المدخل أو ربما المخرج للتعامل مع الأزمة السورية المستعصية من خلال تفعيل أكبر لجهود المفاوضات والسلام من الأطراف المتصارعة.

والسيناريو الأرجح من خلال استقراء تقديرات الأطراف المختلفة:

أولها أن إنهاء هذا الصراع يتطلب حلاً إقليمياً في المقام الأول، يشمل الأطراف الفاعلة –إيران وتركيا والسعودية– مع دعم قوى من كل من الولايات المتحدة ومن روسيا (الداعم الدولي القوى للنظام السوري) (*) وثمة بعض الاستخلاصات الأولية من قراءة المشهد السياسي والعسكري حالياً في سوريا.

ثانياً أن الحل العسكري غير فعال ويفتقر إلى التكامل، كما أن أي تسوية سلمية تواجه وتصطدم بالمعارضة المسلحة.

ثالثاً أنه ثمة ضرورة برغم ذلك لإنشاء بعثة للمفاوضات أو التسوية السلمية

(*) من دلائل هذا الدعم الواضحة ترتيب زيارة مفاجئة للرئيس السوري بشار الأسد إلى موسكو للاجتماع مع بوتين قبيل اجتماعات عربية وأمريكية بشأن الأزمة.

Peace Mission ومن هذه الخيارات إيفاد «بعثات للسلام» محدودة المهام لتحقيق وقف لإطلاق النار.

رابعاً أنه ثمة خيار آخر ينطوي على «مهمة للسلام» ذات مستويين، المستوى الأول إجراء المباحثات للتوصل لاتفاق سلام Peace Deal ومن شأنه المساعدة في تحديد عدد من المهام من بينها إقرار التسوية السلمية (فرض التسوية السلمية بقرار من مجلس الأمنPeace Enforcement) وتشكيل عملية لحفظ السلام.

خامساً، ثمة سيناريو آخر مطروح وهو تشكيل ائتلاف أو تحالف من دول الاتحاد الأوروبي بتولى مسئولية البعثة مزدوجة المستويات (أي ذات مستويين) وهي ذات طبيعة عسكرية – أي بعثة عسكرية في إطار ما يُعرف في إطار (برلين+ أي المفاوضات التي جرت في برلين بين الأطراف المتصارعة) بحيث تسمح –أي تلك البعثة لحلف الناتو– باستخدام قدراته وإمكانياته، وأن تتسع المشاركة لمجموعة من الدول بما في ذلك المجموعة التي تعرب باسم BRICS (أي البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا) وتنضم إليها أعضاء جامعة الدول العربية.

وسادساً، أما بالنسبة لمخاطر تنظيم الدولة الإسلامية ISIS فليس ثمة حل لهذا التحدي بمعزل عن إطار القضايا الأشمل الكامنة وراء هذا الصراع، إذ أن إجراء عملية سياسية ديمقراطية مع إجراء انتخابات وإعداد دستور جديد، هذه العملية السياسية يتعين أن تصبح الهدف المنشود من أي «بعثة سلام» أو «مهمة سلام» يتم التوصل إليها في سوريا.

وبعد سنوات طويلة من الحرب الطاحنة في سوريا، ثمة حاجة ملحة لتحليل دقيق للخيارات المتاحة لبناء «عملية سلام» في سوريا، بما في ذلك تشكيل بعثة للسلام Peace Mission، وقد أعدت الأمم المتحدة خطط طوارئ لتشكيل هذه البعثة، وقد بذل مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة جهوداً مضنية خلال مؤتمر «جنيف–٢» حول سوريا من أجل تنفيذ خطة لتجميد الصراع في بعض المناطق

لاسيما في منطقة «حلب» لكن الخطة لم تر النور(*).

وعموماً فإن آفاق التسوية وفرص تنفيذه والإشراف الدولي على أي تسوية سلمية في سوريا سوف يمكن المجتمع الدولي من خلق الظروف المواتية لإنشاء «بعثة للسلام» ويتيح الفرصة لإجراء حوار شامل فيما بين الدول يمكن أن يسهم في تشكيل ما يُسمى «بتحالف الدول الراغبة» أو تحاول الراغبين Coalition of the Willing التي توفر الدعم العسكري بما في ذلك القوات والعناصر المطلوبة لتشكيل هذه القوة من أجل دعم التسوية السلمية.

إشكاليات الموقف الاستراتيجي حول سوريا

تطور الصراع في سوريا من مرحلة الانتفاضة الديمقراطية عام ٢٠١١ إلى مرحلة الحرب الإقليمية/ المذهبية التي تشمل إيران وتركيا والسعودية وقطر، وكذلك روسيا، وإلى درجة ما بعض القوى الغربية، كذلك فالصراع الدائر في سوريا أعاد إشعال نار الحرب داخل العراق، إذا أن إعلان ما يوصف بـ«الخلافة الإسلامية» أ «الدولة الإسلامية» في العراق والشام (داعش) ثم تشكيل تحالف دولي لمحاربة هذا التنظيم تمخض عن تورط مباشر للولايات المتحدة وعدد من الدول الأخرى في الحرب السورية.

ويرجح والوضع هكذا أن ينتهي الصراع في سوريا بوقوع أجزاء من سوريا تحت سيطرة القوات التي لم تشارك في أي تسوية سياسية، كما أن أي «بعثة سلام» سوف تصطدم بمقاومة مسلحة من «تنظيم الدولة الإسلامية» ومن غيرها من الجماعات المعارضة ومن بعض الميليشيات القريبة من النظام، وسوف يزداد الموقف ارتباكاً وتعقيداً بسبب وجود عناصر مسلحة ترفض القبول بحكومة مركزية وطنية أو بإشراف دولي مثلاً أو بقوات عسكرية أجنبية، مثل قوات حزب الله أو وحدات من القوات الإيرانية، هذا كله يدفع الموقف العسكري المضطرب

(*) من هذه الجهود جولة يقوم بها في منتصف أكتوبر المبعوث الدولي «دي ميستورا» مع الأطراف الإقليمية في الشرق الأوسط بينها مصر فالتقى مع السيسي لبحث البدائل لحل الأزمة ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٥.

لأن يفرض الحاجة للتعاون بين اللاعبين الإقليميين.[1].

وإذا تناولنا مدى فاعلية دور الأمم المتحدة في تحقيق استراتيجية للسلام في سوريا، نلمس أن تركيز القوى الكبرى (الولايات المتحدة – التحالف الدولي) لحملة الحرب ضد الإرهاب وصد تنظيم الدولة الإسلامية، قد أدى إلى تهميش اهتمام المجتمع الدولي بالبحث عن حل سياسي للأزمة السورية، وإن حاول بعض المسئولين والمحللين البحث عن طرق لتقليل مستوى العنف واحتواء الصدام، ومن ثم تعيين مبعوث خاص جديد للأمين العام لسوريا (وهو ستيفان دي ميتسورا الذي جاء خلفاً للأخضر الإبراهيمي الذي استمر مبعوثاً لعدة سنوات دون أن يتمكن من كسر الجمود في الأزمة) ليمثل ذلك فرصة لوضع استراتيجية للسلام، حيث كان فشل الإبراهيمي يعود إلى استمرار العمليات الحربية وما يُسمى بـ«الحرب بالوكالة» وبسبب الخلافات الإقليمية والدولية حول الأزمة.

وقد حدد المبعوث الجديد للأمم المتحدة للأزمة عدة أولويات، أولها اتخاذ تدابير لتقليل مستوى العنف وزيادة عمليات تقديم المساعدات الإنسانية، ولو عبر الحدود داخل سوريا، ثم دفع عجلة العملية السياسية، ومن هذا المنطلق، حرص «دي ميتسورا» على وضع خطة لتجميد الاشتباكات العسكرية في عدة مناطق خاصة في «حلب» وإن كانت المعارضة قد تحفظت على خطط المبعوث الأممي.

ومن بين أهداف مساعي المبعوث الخاص الأممي لدفع خططه باتجاه تحقيق استراتيجية للسلام في سوريا، كان من الضروري العمل على التوصل لوقف لإطلاق النار، لكن وقف التصعيد ولو بشكل جزئي لم يكن كافياً لسد الفراغ السياسي الذي يحاول تنظيم داعش والفصائل المسلحة الاستفادة به، وذلك بالإضافة إلى أهمية توفير

(1) VASCONCELOS A. 2015. *Scenarios for a peace mission for Syria.* Norwegian Peacebuilding Resource Centre. Pp. 1-3. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.peacebuilding.no/Regions/Middle-East-and-North-Africa/Syria/Publications/Scenarios-for-a-peace-mission-for-Syria>

مناخ يسمح ببدء التفاوض إذ أن استمرار الحرب التي تقودها الولايات المتحدة على الإرهاب في العراق وسوريا، الأمر الذي يشعل نار الحرب الأهلية في سوريا، كذلك لابد من تحقيق توافق وطني سوري حتى يمكن التوصل لتسوية دائمة وربما يكون المبعوث الأممي الجديد خير قناة لبدء مفاوضات مثمرة في سوريا.

بالتوازي مع هذا المخطط لاستراتيجية تفاوضية جديدة للتوصل لتسوية سلمية في سوريا، فإنه يتعين بالتوازي إعداد خطة جديدة لنشاط دبلوماسي للأمم المتحدة تبدأ من توسيع نطاق الحوار من كافة الأطراف المعنية بالأزمة السورية، أن يكون التوصل لحل تفاوضي للصراع في سوريا جزءً من هذا الحوار مع وضع خريطة طريق لتحقيق السلام، كذلك تدشين وتعميق التحركات الدبلوماسية بشكل أوسع على المستويين الإقليمي والدولي.

هذا وفي الوقت الذي استمرت فيه الحملة الدولية ضد تنظيم الدولة الإسلامية، فمن الحيوى بذل الجهود للتوصل لتفاهمات إقليمية ودولية، لاسيما فيما بين السعودية وإيران، بما في ذلك تركيا وروسيا والولايات المتحدة، حول تحقيق الاستقرار في سوريا والمنطقة كلها، على أن خطة السلام بعيدة المدى لا تتحقق إلا من داخل سوريا نفسها، وذلك أن تحقيق وقف إطلاق النار على المستويات المحلية ليس إلا مجرد سد فراغ للتصدي لمظاهر الصراع العسكري في بعض المناطق الأخرى [1].

الأزمة في سوريا والمنظور الإقليمي الأشمل

لذلك من الأهمية بمكان أن يظل المنظور الإقليمي الأشمل هو المدخل الصحيح للتحليل، ومن ثم استقراء إمكانيات الحل العملي المتاح للأزمة السورية خاصة وأن سوريا سوف تظل محور لأمن في الشرق الأوسط، إذ أنه بعد أربع سنوات من الصراع، تأكد أن سوريا هي بمثابة (مركز القيادة) للجهاز العصبي

(1) HILIAL L. 2014. *The United Nations and a peace process strategy for Syria.* Norwegian Peacebuilding Resource Centre. Pp. 1-3. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.peacebuilding.no/Regions/Middle-East-and-North-Africa/Syria/ Publications/The-United-Nations-and-a-peace-process-strategy-for-Syria>

للمنطقة كلها، فالصراع الدائر في سوريا استثار أعمق المخاوف الإقليمية الجماعية، كما أدى إلى إنشاء تحالفات غير متوقعة في المنطقة كلها، بل وفي العالم الإسلامي والخارجي على حد سواء، كما أطلق سلسلة من الأطماع المتنافسة ومخططات السيطرة الكبرى وتمخض عن وجود عدد من اللاعبين وعدد من الأجندات المتناقضة والمتصارعة على الأرض السورية [1].

تقييم الاستراتيجية الأمريكية ومدى فعاليتها تجاه الأزمة

وخلال هذه السنوات الأربعة من الصراع حول سوريا، لم يبذل جهد حقيقي لحسم الصراع، إذ تأكد أن استراتيجية الاحتواء التي نادى بها الرئيس الأمريكي «أوباما» وهي مجرد وهم من الأوهام خاصة أن نظام الأسد تعمد نقل الصراع إلى المستوى الإقليمي، وهو ما أدى إلى تعميق التيار الراديكالي واتجاهات التطرف، كما شجع على انتشار الفوضى، وانتهى الأمر إلى ظهور ما يشبه الاستنساخ للتيار الإرهابي الذي خلقه النظام نفسه، وذلك هو ظهور تنظيم الدولة الإسلامية أو ما يعرف باسم داعش.

الجدل الدائر حول فاعلية الموقف الأمريكي: المحاذير والإشكاليات والأهداف

وعموماً فإن الجدل لم يزل يدور حول الاستراتيجية الأمريكية في التعامل مع الموقف السياسي والعسكري في سوريا، سواء مع نظام بشار الأسد وممارساته ضد الشعب الذي تمرد على حكمه بعد سنوات طويلة في أعقاب انتفاضة عام ٢٠١١ ومع تطورات الموقف العسكري المتأرجح بين قوى المعارضة المعتدلة كانت ما توصف أو متطرفة من جماعات تنظيم داعش، أو «جبهة النصرة» أو دعم إيراني بالمال والعتاد، ولم يحسم هذا الجدل إذ لم يزل هناك كثير من الساسة والباحثين الذين يعارضون وبقوة أي إجراء أمريكي قسرى ضد النظام السوري، خاصة إذا اتخذ شكلاً من أشكال التدخل، لكن هؤلاء الساسة لم يتدبروا كثيراً في العواقب الاستراتيجية

(1) KODMANI B. 2015. *A solution for Syria*. Norwegian Peacebuilding Resource Centre. Pp. 1-8. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.peacebuilding.no/Regions/ Middle-East-and-North-Africa/Syria/ Publications/A-solution-for-Syria>

الأمريكية إذا انتهجت نهجاً سلبياً بعدم لحركة كلية ضد النظام السوري.

كذلك هناك من يعارضون وينفس القوة تقديم الدعم الكبير الحاسم للمعارضة السورية (بالسلاح والتدريب والمال) وضربوا مثلاً على العواقب الوخيمة لإتباع مثل هذه الاستراتيجية بتجربة أفغانستان عشرين عام، بيد أن هذين المنطقتين السلبيين يسقطان من حساباتهما أن هناك خيارات أخرى سياسية أكثر تماشياً ومعقولية يمكن أن تحظى بالدعم الإقليمي وصولاً لتحقيق أهداف محدودة وقابلة للتحقيق.

وعلى حد وصف الكولونيل «ريتشارد أوترن» كبير الباحثين في مركز البحوث الاستراتيجية بجامعة الدفاع الوطني بالولايات المتحدة في تحليله للاستراتيجية الأمريكية نحو الصراع في سوريا، فإن هذه الاستراتيجية، عبر الشهور الأخيرة، ظلت تركز على كيفية أن تتحاشى وأن تبعد عن الانزلاق إلى المكائد أو أن تقع أو تتورط في تعقيدات هذ الصراع، متناسية بذلك أن المصالح الأمريكية على المدى البعيد أصبحت في يد أعداء ألداء (ويقارن كبير الباحثين بذلك بمقولة ميكيافيلي « أنه لا بد أن تكون ثعلباً حتى تتجنب الوقوع في الشراك، وأن تكون أسداً حتى تواجه الذئاب»، وهو ما تحتاجه الاستراتيجية الأمريكية على حد وصفه.

ولا شك أن القادة الأمريكيين والمؤسسات الأمريكية لديها كل الحق من أجل حماية المصالح القومية، وتجنب إطالة أمد هذه الكارثة والمحنة السورية، فالاستراتيجية العملية إما أن تقوم على أساس انتهاج سياسة الإجراء القسري Forceful Action ضد بشار الأسد ومؤيديه، أو أن تخفض من سقف المطالب والتوقعات الأمريكية خلال التفاوض إذا كان يسعى للبقاء في السلطة وأن تستعد بعد ذلك لتحمل النتائج، وفي كل الأحوال، فأن الحنكة السياسية تتطلب المزيد من التعمق والجدية والبحث في اختيار الاستراتيجية الملائمة [1].

(1) OUTZEN R. 2014. *The Flawed Strategic Debate on Syria.* Institute for National Strategic Studies. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.isn.ethz.ch/Digital-Library/Publications/Detail/?lang=en&id=177143>

غير أن تطورات الموقف العسكري المتأرجح والمتبدل من الحين والآخر، على الأرض، يكاد يحسم هذا الجدل الحائر حول فعالية الدور الأمريكي وجدواه، وذلك أن المكاسب الأخيرة التي استطاع الثوار في شمال سوريا أن يحققوها قد زعزعت من مكانة نظام بشار الأسد، وكانت نذيراً تُلمح بقرب سقوطه.

كان هذا هو السؤال الذي يلح على الجميع منذ اندلعت الأزمة منذ عدة سنوات، فهل يكون عام ٢٠١٥ هو عام النهاية لبشار الأسد؟ وهل تتحقق نبوءة الرئيس أوباما منذ عام ٢٠١١ «فأنه على بشار الأسد أن يرحل» بسبب الهجوم الإسلامي الأكثر تنظيماً، وبسبب تفتيت المؤسسة الأمنية، وصعوبة تجنيد المقاتلين العلويين للقتال؟ وأقصى ما يمكن أن يستخلصه المحللون من هذه المرحلة هو أن مكاسب الثوار في كل من «إدلب» و «جسر الشغور» في الشمال ليست إلا دليلاً بأنها أصبحت هي الأقوى مما كانت عليه، وتكاد تصل إلى نقطة ترجح كفة الميزان وتنذر ببداية النهاية لنظام بشار الأسد [١]، فهل يتحقق ذلك بالفعل ؟

هذا الجدل الذي يمكن وصفه بالحدة أحياناً والمثير للخلاف أحياناً أخرى صار ينتقل بين دوائر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وما بين أوساط الكونجرس، كما لم يتخلف الدبلوماسيون المحترفون عن إبداء أرائهم في مستقبل الصراع الدائر حول مستقبل هذا النظام [٢].

يروى سفير الولايات المتحدة السابق في دمشق «روبرت فورد» أنه استمع خلال تواجده في إحدى لجان الكونجرس أثناء إدلاء مدير وكالة المخابرات المركزية CIA «جون برينان» أن مخاوف الإدارة تدور حول أن احتمالات سقوط

(1) MILLER A.D. 2015. *Is Bashar al-Assad Finished, for Real, This Time. Again*? Foreign Policy. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://foreignpolicy.com/2015/ 05/01/is-bashar-al-assad-finished-for-real-this-time-again-syria>

(2) MILLER A.D. 2015. *Is Bashar al-Assad Finished, for Real, This Time. Again*? Foreign Policy. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://foreignpolicy.com/2015/ 05/01/is-bashar-al-assad-finished-for-real-this-time-again-syria>

حكومة الأسد في دمشق ربما تؤدى إلى استيلاء المتطرفين الإسلاميين، بمن فيهم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وجبهة النصرة، وعناصر منتمية لتنظيم القاعدة على الحكم على أطلال النظام المنهار [1].

لكن تقديرات السفير الأمريكي تتسم بالتحفظ على هذا الاستنتاج إذ يرى أن مثل هذا القلق أو الهاجس قد يكون أمراً مشروعاً إذا كان يستند إلى أساس من الواقع، لكن هذا الخوف – في رأيه – لا يستند إلى أي أساس من الواقع، فلا الدولة الإسلامية (داعش) ولا جبهة النصرة ولا أي فصيل مسلح يستطيع الاستيلاء على كامل السلطة من حكومة الأسد في حالة انهيارها، فتقديره أن حكومة الأسد تزداد ضعفاً لكنها ليست في طريقها للزوال، وثمة تنافس حاد من الفصائل المسلحة، لكن أياً منها لا يمتلك من القوة والقدرات ما يكفي لدحر الفصائل الأخرى، ولقد ظل الأمر على هذا المنوال، وربما استمر كذلك.

ويضرب السفير الأمريكي أمثلة على هذا الأسلوب من الكر والفر بين داعش وفصائل المقاومة كما حدث شمال شرقي مدينة «حلب» في نهاية شهر مايو من تحقيق التنظيم لبعض التقدم ثم تحول القوات المقاتلة المناهضة لتنظيم الدولة الإسلامية لشن هجوم مضاد عليها وطردها من عدد من المواقع، كذلك تكرر نفس المشهد العسكري في حي اليرموك في دمشق حيث شن تنظيم الدولة الإسلامية هجوماً وكاد يستولى على المنطقة بالكامل حتى قامت فصائل مسلحة أخرى من المقاتلين الفلسطينيين وجماعات أخرى مناهضة لداعش بشن هجوم مضاد وطرد قوات التنظيم من مواقعها.

***

(1) MILLER A.D. 2015. *Is Bashar al-Assad Finished, for Real, This Time. Again?* Foreign Policy. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://foreignpolicy.com/2015/ 05/01/is-bashar-al-assad-finished-for-real-this-time-again-syria>

لذلك، فالتقديرات تشير إلى أنه من غير المرجح حدوث الانهيار المفاجئ لحكومة بشار الأسد على غرار ما حدث لحكومة صدام حسين، إذ لم تزل القوات الجوية السورية تمتع بقدر من القدرات القتالية، ولم تزل وحداتها الأمنية موالية للنظام، ولم يزل الدعم الإيراني ودعم حزب الله قوياً ومستمراً.

بيد أن ديناميكيات هذا الصراع المسلح أو لنقل حرب الاستنزاف قد انقلبت على النظام، ففي مطلع عام ٢٠١٣ بدأ النظام السوري في التراجع حتى تدخل حزب الله بعشرات الآلاف لوقف هذا المد ضد النظام، بيد أنه في الوقت الحاضر، أي في منتصف عام ٢٠١٥، ليس ثمة عنصر أو عامل خارجي جديد يمكن أن يغير اتجاه المد الصاعد ضد نظام بشار الأسد ما لم تقرر إيران بأن تبعث بعشرات الآلاف من قواتها البرية إلى سوريا، وحتى لو اتخذت مثل هذا القرار، فإن ذلك سوف يضاعف من تدفق الأسلحة ويزيد من الدعم اللوجستي لقوى المعارضة السورية من تركيا والسعودية وقطر، وهو الدعم الذي أدى في الآونة الأخيرة إلى تحول اتجاهات القتال لصالح قوات المعارضة ضد النظام [1].

وفي نهاية المطاف، فإن حكومة الأسد ومؤيديه يمثلون الأقلية في سوريا، أما الأغلبية الساحقة من السوريين أنفسهم فلن يحتشدوا بأعداد ضخمة لدعم النظام الاستبدادي الذي يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم، فالسوريون إما أن يتجمهروا لدعم المعارضة أو أن يقفوا على الحياد انتظاراً لما سوف ينتهي إليه هذا الصراع المخيف، لكن أي سيناريو من السيناريوهات المطروحة «يعني أن قوى التطرف الإسلامي مثل تنظيم داعش أو جبهة النصرة سوف تستولي على النظام المنهار، فأقصى ما يمكن أن يحققوه هو السيطرة على مساحات من الأرض داخل سوريا المفتتة ولعدة سنوات، ثم تعمل تلك التنظيمات المتطرفة على تجنيد المزيد من

(1) FORD R.S. 2015. *Wringing Our Hands and Endless Bombing Won't Help Us in Syria*. The Middle East Institute. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.mei.edu/content/at/wringing-our-hands-and-endless-bombing-won%E2%80%99t-help-us-syria>

العناصر وتتولى التدريب والتشغيل ضد أعدائها في الداخل والخارج» (بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها).

أما الموقف الأمريكي، فقط ظل دائماً يتصف بالتذبذب ما بين تجنب الانخراط الحاد مع أي من القوى الإسلامية وبين استخدام القوة العسكرية المباشرة ضد الإسلاميين المتطرفين، بدلاً من انتهاج طريق وسط، وذلك عن طريق تمكين قوة محلية تتصدى لمشكلة التطرف ولحكومة الأسد التي تمثل أساس المشكلة في سوريا.

وعموماً فإن المستهدف من السياسة الأمريكية في المستقبل المنظور سواء من خلال المخابرات المركزية، أو دوائر الإدارة، وبدعم من الكونجرس، استخدام المزيد من الأدوات السياسية مثل تقديم الدعم المادي للمعارضة المعتدلة، وربما لجأت إلى فرض منطقة لحظر الطيران بهدف الضغط على بشار الأسد للدخول في مفاوضات والتأثير على الحلفاء في المنطقة والعناصر السورية غير المتطرفة، وذلك وصولاً إلى تحقيق تسوية سياسية وطنية في نهاية المطاف، برغم كل ما يكتنف مثل هذه التسوية من صعاب[1].

استمرار المواقف المتصارعة، الموقف الإيراني من ناحية، والموقف المضاد عربياً (السعودي-القطري-التركي) من ناحية أخرى، والموقف الأمريكي، والموقف الروسي المضاد من ناحية مقابلة، يكشف عن أن التدخل الخارجي في الأزمة السورية ينطوي على تحديات هائلة ومشكلات خطيرة لكل الأطراف المتقاتلة، فبالنسبة للأمريكيين والأوروبيين عموماً، فتجارب الفشل في أفغانستان والعراق وليبيا ماثلة في أذهانهم وتكاد تحول دون اتخاذ قرار بالتدخل اللهم إلا للدعم الإنساني أو اللوجستي المحدود لقوى المعارضة برغم سياسة الأسد ونظامه في ارتكاب المذابح واتهامه باستخدام أسلحة كيماوية، أما الولايات

(1) FORD R.S. 2015. *Wringing Our Hands and Endless Bombing Won't Help Us in Syria*. The Middle East Institute. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.mei.edu/content/at/wringing-our-hands-and-endless-bombing-won%E2%80%99t-help-us-syria>

المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي فلعل قرارها الوحيد الذي اتفق عليه هو تدمير ترسانة الأسلحة الكيماوية لنظام بشار الأسد بعد أن تأكدت من استخدامه لها ضد قوى المعارضة وضد المدنيين السوريين أنفسهم [1].

وتحليل الأوضاع العسكرية في ساحات القتال ما بين قوات النظام وقوات المعارضة تشير إلى أن النظام وإن لم يعد قادراً على حسم المواجهة، أو كسب هذه الحرب [2] فقد أدى ذلك إلى ظهور قوة ثالثة ما بين النظام نفسه وما بين قوى المعارضة، وذلك في شكل تنظيم الدولة الإسلامية الذي يقاتل المعارضة ليستولى على أراضي من الدولة ويضعف من مكانة النظام ويدفع به دفعاً إلى مأزق استراتيجي خطير حتى أصبح الموقف متأرجحاً ومتذبذباً وغير محسوم بالنسبة لقوى الصراع داخل سوريا، والتقديرات في هذا السياق يسيطر عليها قدرٌ كبير من التشاؤم، ففي حالة إزاحة الأسد سوف تقاوم الأقلية العلوية في الشمال بشراسة (مثلما فعل السُنة في العراق) بعد أن غنموا الكثير من نظام الأسد خاصة أنهم ربما يواجهون كوارث إذا انهار نظام الأسد، وسوف تنتقل السيطرة ليد القوى الإسلامية المرتبطة بتنظيم القاعدة واستمرار الحركات الراديكالية، كذلك لم يعد لدى الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي القدرة أو المقاربة الفعالة لوقف هذه الحرب.

ولعل الأفعال أو التدابير التي تتخذها الولايات المتحدة تتماشى مع أقوالها أو تصريحاتها، لاسيما بعد أن قال الرئيس الأمريكي صراحة خلال زيارته لوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون في ٦ يوليو ٢٠١٥) بأنه يتعهد بزيادة الدعم الأمريكي للمعارضة السورية المعتدلة في غمار الحرب الأهلية، وإن كان الشغل الشاغل لأوباما والإدارة نفسها هو أنه لا ينوى إرسال المزيد من القوات الأمريكية إلى دول خارجية، مُحذراً أن

(1) FRIEDMAN G. 2013. *Redlines and the Problems of Intervention in Syria*. Stratfor. [cit.31.08.2015]. Available online: <https://www.stratfor.com/weekly/redlines-and-problems-intervention-syria>

(2) *Tartus, the Mother of Martyrs*. 2015. Stratfor. Pp. 1-7. [cit.31.08.2015]. Available online: < https://www.stratfor.com/analysis/tartus-mother-martyrs>

الصراع ضد تنظيم الدولة الإسلامية لن يكون وجيزاً، وإن أضاف أن الإدارة الأمريكية سوف تتخذ المزيد من الإجراءات لتدريب وإعداد المعارضة في سوريا، ولم يفصح عن المزيد من التفاصيل حول طبيعة هذا الدعم، لكن الجمهوريين من خصوم الرئيس «أوباما» ينتقدونه لعدم وجود استراتيجية واضحة وناجحة وأن «كلماته البليغة» لا تتماشى مع الحقيقة أو الواقع، خاصة أن تنظيم الدولة الإسلامية قد اتسع في نفوذه ونطاق حركته بشكل خطير، كما أضاف هؤلاء الخصوم من الجمهوريين أن الإدارة لن تتمكن من إنزال الهزيمة (بالجيش الجهادي) بالمزيد من المتحدثين من البيت الأبيض في واشنطن وبدون تقديم المال والعتاد لخطوط المواجهة [1].

والصورة على أرض الواقع بالنسبة لسياسة النظام السورى تثير انطباعات قاتمة من الفزع إزاء الانتهاكات التي تحدث في سوريا من تعذيب وهجوم ضد المدنيين سواء خلال عام ٢٠١٣ أو عام ٢٠١٤، وزيادة ضخمة في نزوح المدنيين بسبب ظاهرة صعود الدولة الإسلامية واستخدام نظام الأسد لسلاح القنابل والمتفجرات في البراميل ضد السكان على نحو ما أكد وزير الخارجية الأمريكي في صدارة تقرير صدر عن الخارجية الأمريكية عن حقوق الإنسان في سوريا في عام ٢٠١٥ [2] (صدر التقرير في مايو ٢٠١٥).

كما يفسر التقرير ظاهرة صعود تنظيم داعش في جزء منه أنها حدثت نتيجة للفظائع التي ارتكبتها حكومة سوريا كما أن عام ٢٠١٥ ينذر بالمزيد من الفظائع من قتل للمواطنين ونزوحهم على نحو غير مسبوق منذ عام ٢٠١١، ويسجل التقرير أن الخسائر في صفوف المدنيين زادت بنسبة ١٠٠٪ وبين اللاجئين إلى خارج سوريا

(1) MASON J., EDWARDS J. 2015. *Obama says U.S. to increase support for Syria opposition*. Reuters. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.reuters.com/ article/2015/07/06/us-mideast-crisis-obama-idUSKCN0PG2BN20150706>

(2) TAYLOR A. 2015. *US Human Rights Report on Syria Portends a Merciless 2015*. Atlantic Council. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/us-human-rights-report-on-syria-portends-a-merciless-2015>

بنسبة ٥٠٪، في حين سجلت الأمم المتحدة والمفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة ٢٠٠٠٠٠ من الوفيات و٣.٢ مليون لاجئ في نهاية عام ٢٠١٤.

ومنذ هذا التاريخ لنهاية عام ٢٠١٤، خسر نظام بشار الأسد مساحات أكبر من الأرض ليس لصالح تنظيم داعش (الدولة الإسلامية) فحسب بل ولقوات المعارضة، ورداً على هذه الخسائر شنت قوات النظام المزيد من الهجمات الجوية والقصف بالقنابل والمتفجرات «البرميلية» واستخدام غاز الكلور وحتى شهر مايو فقط لقى حوالي ٦٦٥٠ من المدنيين مصرعهم.

ويستخدم النظام الأسلحة بأسلوب عشوائي، كما يستخدم أسلوب الحصار والمعاملة اللا-إنسانية لإنزال العقاب بالمدنيين من صفوف المعارضة في الأراضي التي تسيطر عليها، ومع استمرار تحقيق المعارضة لمكاسب في شكل الاستيلاء على المزيد من الأرض، وسوف يزداد النظام شراسة ويأساً في استهداف المدنيين بالمزيد من الهجمات، وقد تأكدت هذه التقديرات حتى أن عام ٢٠١٥ قد يتحول إلى الأسوأ عن الأعوام السابقة.

ويرى تقرير حقوق الإنسان الصادر عن الإدارة الأمريكية حول سوريا أنه ما لم يبادر المجتمع الدولي والقوى الإقليمية، والحلفاء، فإن عام ٢٠١٥ سوف يشهد المزيد من الدمار والمزيد من الانتشار لتنظيم داعش وللأيديولوجيات 'لمتطرفة وكذلك لمزيد من الانتقاد واللوم والكراهية لسياسة الولايات المتحدة بسبب عجزها عن الحركة إزاء كافة هذه الانتهاكات المؤلمة[1].

وينتقد تقرير الأمم المتحدة كافة الأطراف المنخرطة في الصراع الدائر في سوريا إذ أنها لا تول أدنى اعتبار لالتزاماتها بموجب القانون الدولي بحماية المدنيين أو ضمان الأمن الإنساني في سوريا.

(1) TAYLOR A. 2015. *US Human Rights Report on Syria Portends a Merciless 2015*. Atlantic Council. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/us-human-rights-report-on-syria-portends-a-merciless-2015>

أبعاد الموقف السياسي والعسكري الراهن

دخلت الحرب في سوريا عامها الخامس دون أي بادرة على التوقف وتحولت إلى حرب استنزاف تعرضت فيها الأطراف للتقهقر تارة والتقدم تارة أخرى، مما عمق الأوهام بأن النصر العسكري لطرف ما قد يتحقق.

أما على مستوى الموقف العسكري، فإن الشهور الثلاثة الماضية (إبريل-مايو-يونيو ٢٠١٥) ورغم تعدد المسارات السياسية، فإن آفاق الحل السياسي تظل بعيدة ومتعثرة مع زيادة حدة العمليات العسكرية من مختلف الأطراف.

ومنذ إبريل ٢٠١٥ أجرى مبعوث الأمم المتحدة «ستيفان دي ميستورا» مباحثات عديدة مع أطراف محلية وإقليمية ودولية لتقدير الموقف الراهن والرؤى المحتملة للحل السياسي.

كذلك قام عدد من أعضاء المعارضة السورية بعقد اجتماع في القاهرة في ٦ يونيو ٢٠١٥ وطرحوا خريطة طريق للتوصل لحل سياسي، (وبالمثل عقد في الرياض خلال شهر يوليو مؤتمر ثان حضره عدد كبير من ممثلي القوى السياسية والعسكرية داخل وخارج المعارضة[1]).

أما روسيا والولايات المتحدة، فقد استمرا في دعوتهما للتوصل لحل سياسي وعقد آخر اجتماع بين جون كيري وزير الخارجية الأمريكي وبين الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» في مدينة «سوتشي» في ١٢ مايو ٢٠١٥، وقد تركز الاجتماع - كما أوردت التقارير- على استكشاف الطريق للتوصل لوسيلة لإنهاء الصراع وطريق للتصدي لتنظيم داعش[*].

(1) *UN rights expert deplores 'profound failure of diplomacy' as Syria conflict escalates*. 2015. United Nations News Centre. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=51227#.VeLNOSWqqkohttp://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/oral-update-independent-international-commission-inquiry-syrian-arab-2>

(*) اتصف التشاور الأميركي الروسي بالاستمرارية طوال شهور الصيف مع تواصل التنسيق مع الأطراف الإقليمية ، وجاءت لحظة الذروة مع التدخل الروسي الواسع إلى جانب نظام بشار=

بيد أن الاستقطاب المتزايد بين القوى الإقليمية ذات النفوذ (إيران-السعودية-دول الخليج-تركيا) على خلفية الصراع الدائر في اليمن، قلل من احتمالات تدشين حوار حول سوريا، ورغم ذلك تواصل القوى الإقليمية الاضطلاع بدور هام في الدعوة لحل سياسي.

ويتصف الموقف العسكري السائد حالياً في استمرار المواجهة المسلحة في عدة جبهات ينخرط فيها عدد كبير من الأطراف من كل جانب مع ظاهرة الركود في جبهات محافظات «إدلب» و«حمص» و«الحسكة»، مع تخللها اشتباكات تشمل بعض المحليات في «إدلب» و«تدمر» «حمص».

لكن التدخل الخارجي عقد من ديناميكيات الصراع مما زاد من ظاهرة تدويل الصراع في سوريا، إذا استمرت العديد من الدول والأطراف المسماة (باللادول) Non-State Actors في المنطقة لدعم حلفائها عسكرياً مع الإسهام في تصعيد المواجهة العسكرية، وانخرط كثيرون في التعبئة والحشد والتدريب والإعداد والتمويل للمقاتلين السوريين أو المقاتلين الأجانب، بيد أنه في سياق البحث عن حل سياسي للصراع، ضاعفت أطراف دولية ومؤثرة من الدعم العسكري واللجوستي سواء للحكومة السورية أو للجماعات المسلحة المناهضة للحكومة لزيادة الضغط العسكري على الجانب المعارض، وإرغامها على القبول بالحل الوسط كشرط مسبق لضمان نجاح أي عملية سياسية(*).

أما الشعب السوري فيستحق من المجتمع الدولي التزاماً قاطعاً بالمساعدة لاستعادة الأمن والسلام في البلاد، وذلك يتطلب أن تعمل الأطراف الدولية المؤثرة على اشتراط ربط الدعم والمساندة السياسية من الأطراف المعنية باستعدادهم للتوصل لحل وسط،

=الأسد في أكتوبر ٢٠١٥م وإعداد المسرح السياسي الدولي لعقد مؤتمر دولي في فيينا حول الأزمة السورية في نهاية أكتوبر.

(*) قراءة المشهد الدولي الراهن في خريف ٢٠١٥، نلمس تكثيفًا في الاتصالات الروسية الأمريكية والروسية العربية (مع مصر والسعودية) والأمريكية مع أطراف إقليمية عديدة.

والدخول في مفاوضات جادة، ولن يتحقق ذلك إلا بتهيئة المناخ الملائم لإجراء المفاوضات وهي مسئولية مشتركة تتحملها كل الأطراف المعنية، ولن يتحقق ذلك أيضاً إلا إذا أدرك الجميع أنه بدون السلام والاستقرار والأمن والعدالة في سوريا، سوف تتحمل كافة الدول عواقب هذا الصراع الذي يؤثر في مستقبل المنطقة وربما مستقبل الجوار الإقليمي الأوسع، بل وما ورائها من دول وأقاليم أخرى.

مجمل القول أن استمرار هذه الحرب –دون التوصل من خلال الجهود التي تقوم بها الأطراف المعنية (المعارضة ومؤيديها ونظام الحكم نفسه) للتوصل لحل سياسي– وعن طريق جهود الأمم المتحدة ووسيطها (دي ميستورا)، فإن مصالح الأطراف الدولية والإقليمية قد تتصادم وتتعارض، فروسيا مثلاً ترى في الأزمة السورية صراعاً مع السياسية الغربية الداعمة لتغيير نظام الأسد، ورؤية موسكو أن الحل السياسي يجب ألا يقوم على أساس فرض حل غربي (أو حل موالي للجماعات الإسلامية المتطرفة على سوريا مع الحفاظ على المصالح الاستراتيجية شرقي المتوسط)، أما إيران فهي أهم الأطراف الإقليمية الداعمة للأسد، تقدم له السلاح والتدريب والمقاتلين والنفط، وهي بذلك تدافع عن نفوذها الإقليمي والوصول إلى حليفها حزب الله في لبنان الذي قد يتهدد وجوده إذا تغير نظام الأسد، ويمكن لإيران أن تتقبل إذا ما تقدم الموقف الروسي للأمام بنوع من العملية الانتقالية للمشاركة في السلطة في سوريا وبحيث تتيح لحلفائها قدراً من استمرارية النفوذ.

هذا بينما نرى أن تركيا تعطي الأولوية للحل العسكري في سوريا، لكنها قد لا تقرر التدخل ما لم تتوفر مظلة دولية تسمح لها بذلك، لكن تركيا ترى نفسها بمثابة القوة الطليعية الإقليمية والتي قد تساعد على التوصل لحل سياسي (تستقبل تركيا مئات الآلاف من اللاجئين السوريين منذ اندلاع الأزمة في عام ٢٠١١) (*).

وبالنسبة للسعودية، فبرغم دعمها العسكري القوى للثوار في سوريا، فإن السعودية بدأت تشعر بالقلق المتزايد من صعود القوى الراديكالية (داعش والإخوان المسلمين)

(*) قررت تركيا بعد فترة غير قصيرة الانضمام إلى الحملة العسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية ، وبطريق غير مباشر توجيه ضرباتها للمقاتلين الأكراد.

في سوريا، وباعتبار الرياض هي القوة العربية الخليجية الأولى، فإن دعم الرياض للحل السياسي ضرورة لوقف تدفق الأموال الخاصة والدعم المادي للمعارضة السورية، وتمشياً مع الموقف السعودي نجد دولة عربية خليجية أخرى، هي قطر هي أكثر دولة حماساً وتدخلاً للإطاحة بنظام الأسد وتطوير أقوى العلاقات مع قوى المعارضة [1] وربما تكون هي الطرف الأصعب في إطار الإقناع بالحل التفاوضي (ويتوافق مع الموقفين السعودي والقطري، مواقف دول مجلس التعاون الأخرى) [*].

هذا الصدام المستمر في اقتتال قوى المعارضة مع النظام الذي يخوض ربما معركة «الخندق الأخير»، برغم دعم قوى كبرى مثل روسيا وقوى إقليمية مثل إيران، وانخراط قوة محلية مثل «حزب الله»، مع تورط قوى تسمى نفسها بالجهادية الإسلامية مثل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في القتال للاستيلاء على مساحات أوسع من أراضي الشمال والشرق السوري (وكذلك في العراق) وتفتيت الأقاليم السورية وحصار مدنها الرئيسية والسيطرة على بعضها في «إدلب» وتهديد الطرق إلى دمشق، استمرار الصدامات المتعددة على هذا النحو يهدد الكيان السوري بالانهيار الأسرع.

كل هذه الأحداث والتطورات المتلاحقة والمتداخلة والمتصارعة إنما يمثل تهديداً وجودياً ليس للنظام السوري في ظل حكم بشار الأسد فحسب، بل يهدد كيان الدولة السورية نفسها، والدولة السورية إذا انهارت سوف تؤثر بشكل خطير على الدول المجاورة، حيث تشترك في حدودها الدولية مع أكثر من دولة في المشرق العربي،

(1) BARNES-DACEY J., LEVY D. 2013. *Syria: The imperative of de-escalation.* European Council on Foreign Relations. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.ecfr.eu/publications/summary/syria_the_imperative_of_de-escalation208>

(*) توافق روسيا والولايات المتحدة على عقد مؤتمر فيينا حول الأزمة السورية في ٣٠ أكتوبر ٢٠١٥ بعد التشاور الروسي الإيراني ، والروسي السعودي الإماراتي والتشاور الأميركي الإيراني (اجتمع كيري مع جواد ظريف) ومشاركة مصر ولبنان والأردن وتركيا والدول الكبرى والاتحاد الأوروربي في لقاء دولي متعدد الأطراف يمثل خطوة هامة بعد ٢٠١٢ (اجتماع جنيف) لكنه مجرد بداية فقط في مفاوضات صعبة ومعقدة قد تستمر شهورًا وعدة جولات قادمة.

السعودية ولبنان والأردن وفلسطين، كما تشترك مع تركيا الجارة الشمالية غير العربية ذي المخططات والأطماع الخاصة في توعية النظام ما بعد بشار الأسد وفي تأكيد نفوذها. وهذا كله يفرض فرضاً التحسب لاحتمالات خطيرة بانهيار هذا النظام العربي وسقوطه بما ينذر بزلزال يهدد أمن المنطقة واستقرارها [1].

(1) BARNES-DACEY J., LEVY D. 2013. *Syria: The imperative of de-escalation*. European Council on Foreign Relations. Pp. 1-4. [cit.31.08.2015]. Available online: <http://www.ecfr.eu/ publications/ summary/syria_the_imperative_of_ce-escalation208>

obeikandl.com